مقدمة فضيلة الشيخ العلامة

أبي عبد الرحمن عبد الله بن صالح العُبيلان

حفظه الله تعالىٰ

إنَّ الحمدَ لله، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد؛ فإن الله عزَّ وجلَّ ردَّنا إلى كتابه وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلى أعلم الناس بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: «**أولوا الفقه والخير**». أخرجه ابن أبي شيبة وغيره؛ بإسناد جيّد.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «**لا يزال الناسُ بخيرٍ ما أتاهم العلمُ من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن أكابِرِهم، فإذا جاء العلم من قِبَلِ أصاغرهم هلكوا**». أخرجه عبد الرزاق في «مصنفه» وغيره؛ بإسناد صحيح.

فلا ريب أنهم كانوا أبرَّ قلوباً، وأعمق علماً، وأَقَلَّ تكلُّفاً، وأحرى بأن يوفَّقوا في فهم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بما لم يوفَّقْ له من لم يلزم طريقهم؛ لما خَصَّهم الله عز وجل به من توقُّد الأذهان، وفصاحة اللسان، وسعة العلم، وسهولة الأخذ، وحُسن الإدراك وسرعته، وقلّة المعارض أو عدمه، وحسن القصد، وتقوى الله تعالى. فالعربية سليقتهم، والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم، ولا حاجة لهم إلى النظر في الإسناد، وأحوال الرواة، وعلل الحديث، والجرح والتعديل، ولا إلى النظر في قواعد الأصول، وأوضاع الأصوليين؛ بل قد غُنوا عن ذلك كله، فليس في حقهم إلا أمران: **أحدهما**: قال الله تعالى كذا، وقال رسوله كذا. **والثاني**: معناه كذا وكذا. وهم أسعد الناس بهاتين المقدمتين، وأحظى الأمة بهما.

ولذا فإن الله تعالى جعل ما كانوا عليه من دين، وعقيدة، ومنهاج، وعبادة وسلوك؛ هو الحق الذي يجبُ اتباعه، قال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾ الآية.

فالله سبحانه وتعالى جعلهم متبوعين، فمن جاء بعدهم فهو تابع لهم. ومن هنا جاءت كلماتُ أئمة أهلِ العلم في أنه لا يجوز الخروج عن ما كانوا، وإن اختلفوا على قولين فلا يجوز إحداث قول ثالث، لأن الحق لا يخرج عنهم؛ بل إن شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ والذي عُرِفَ بسعة استقرائه لمسائل العلم ـ يقرِّرُ أنه لا يمكن أن ينفرد أحد الأئمة عن الباقين ويكون الصواب معه إلا وقد اعتمد على أثر جمع من الصحابة أو أحدهم. «منهاج السنة» (٥/ ١٧٨).

وابن القيم ـ رحمه الله ـ يعزو كثرة الاختلاف بين أهل العلم لعدم التقيّد بهذا المنهج؛ إما لعدم العلم بالآثار، أو تقليد الأئمة، فيقول: «فلو اتفقت كلمتهم على ذلك وانقاد كل واحد منهم لمن دعاهُ إلى الله ورسوله، وتحاكموا كلهم إلى السنة وآثار الصحابة؛ لقلَّ الاختلاف وإن لم يعدم من الأرض». أعلام الموقعين ٣/ ٢٢٦.

ولعل تشكيل مدارس أهلٍ ـ على النحو المعروف ـ أَضْعَفَ من الأخذ بآثار الصحابة؛ بل أَضعَفَ من الأخذَ بالسنة. وهذا ما حذَّر منه الأئمة بقولهم: «خذوا من حيث أَخَذْنَا».

ولا يشك عاقل أن افتراق الأمة إلى بضع وسبعين فرقة سببه الأعظم هو تركُ هذا المنهج المعصوم، كما أخبر بذلك المصطفى عليه الصلاة والسلام.

وأعتقد أن الأمة لا يمكن أن تنهض من كبوتها إلا بالعودة إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته رضي الله عنهم، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾. فكل جهْدٍ للإصلاح لا ينطلق من هذا الأساس فهو جهد ضائع، فاقتصادٌ في سنة خير من اجتهادٍ في بدعة.

لذا كان من واجب أهل العلم العناية بآثار الصحابة رضي الله عنهم، ودراستها بتمييز ما يثبت عنهم من غيره، للحفاظ على الدين، ونبذ الاختلاف فيما لم نعلم أنهم اختلفوا فيه؛ فيرد إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وأعتقد أن أهل السنة السائرين على طريق الصحابة لا يمكنهم أن يتميزوا عن غيرهم إلا بهذا.

وقد نبَّهَ ابنُ عمر - رضي الله عنه - إلى هذا - وهو مخالفة من بعدهم لهم في فهم القرآن والسنة - فقال: «قاتل الله الخوارج؛ انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار فجعلوها في المسلمين» رواه البخاري.

فإن فَهْمَ الدين مع البعد الزمنيّ عن الصَّدر الأول يعظم خفاؤه، وهذا ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**اتخذ الناسُ رؤوساً جُهّالاً، فأفتوا برأيهم**» وهذا لفظ البخاري.

ولا يمكن ردّ هذا الرأي المخالف للدين إلا بالتزام فهم السلف الصالح.

وقد وقفتُ على كتاب أخينا أبي عبد الله الداني بن منير آل زهوي «سلسلة الآثار الصحيحة»، فسرّني ذلك جداً؛ لما رأيتُ فيه من جهدٍ مشكور في دراسة الأسانيد دراسة علمية رصينة، والتنبيه على ما فيها من حِكَم وأحكام، من خلال كلام أهل العلم. كما اعتنى بدراسة آثار التابعين الذين أخذوا العلم عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لقرب عهدهم بنور النبوة، وإن لم يكن لآحادهم ما لآحاد الصحابة من وجوب الاتباع.

وأرجو من الله أن يكون لهذه السلسلة من النفع والقبول ما كان لسابقتها في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، للعلامة المحقق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

وأشدُّ على يدِ أخينا أبي عبد الله في مواصلة هذا العمل، فإن الأمة سيأتي عليها وقت تكون في أشد الحاجة إلى هذا الكتاب المبارك، كما ستكون خدمة عظيمة لأهل العلم الذين يعنون بفهم الصحابة لترجيح أقوال أهل العلم المختلفة.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

أبو عبد الرحمن عبد الله بن صالح العبيلان

٣/١/١٤٢٤ هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا
ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد
أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد
فإن الله عز وجل ردنا إلى كتابه وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى
أهل العلم الذين يتمسكون بكتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قال تعالى (فاسألوا
أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) وقال تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا
الرسول وأولي الأمر منكم) قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه أولو الأمر الفقه
والخير أخرجه ابن كثير وذكره بإسناد جيد وقال ابن مسعود رضي الله
عنه ((لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم
ومن أكابرهم فإذا أتاهم العلم من قبل أصاغرهم هلكوا)) أخرجه
عبد الرزاق في مصنفه بإسناد صحيح. ولا ريب أنهم كانوا أبر قلوباً
وأعمق علماً وأقل تكلفاً وأحرى بأن يوفقوا في فهم كتاب
الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لما لم يوفق له من لم يلزم طريقهم
لما خصهم الله عز وجل به من توقد الأذهان وفصاحة اللسان
وسعة العلم وسهولة الأخذ وحسن الإدراك وسرعته وقلة
المعارض أو عدمه وحسن القصد وتقوى الرب تعالى فالعربية
سليقتهم والمعاني الصحيحة مركوزة في فطرهم وعقولهم ولا حاجة
بهم إلى النظر في الإسناد وأحوال الرواة وعلل الحديث والجرح والتعديل
ولا إلى النظر في قواعد الأصول وأوضاع الأصوليين، بل قد غنوا
عن ذلك كله فليس في حقهم إلا أمران أحدهما: قال الله
تعالى كذا وقال رسوله كذا. والثاني معناه كذا وكذا وهم أسعد
الناس بهاتين المقدمتين وأحظى الأمة بهما. ولذا فإن الله
تعالى جعل ما كانوا عليه من دين وعقيدة ومنهاج وعبادة وسلوك
هو الحق الذي يجب اتباعه قال تعالى (والسابقون الأولون من المهاجرين
والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم) الآية وقال تعالى
(فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق) الآية
فالله سبحانه وتعالى جعلهم متبوعين فمن جاء بعدهم فعليه [illegible]

ومن هنا جاءت كلمات أئمة أهل العلم فيما لا يجوز الخروج عن ما كانوا
عليه إذا اختلفوا على قولين في الأحكام فلا يجوز إحداث قول ثالث لأنه يخرج
عن قولهم. بل إن شيخ الإسلام رحمه الله والذي عرف بسعة استقرائه لمسائل
العلم يقرر أنه لا يمكن أن يشذ أحد الأئمة عن الباقين ويكون الصواب
معه إلا وقد اعتمد على أثر الصحابة أو أحدهم. منهاج السنة ٥/١٧٨
ويرى ابن القيم رحمه الله أن كثرة الاختلاف بين أهل العلم لعدم التقيد بهذا
المنهج إما لعدم العلم بالآثار أو تقليد الأئمة فيقول (فلو اتفقت
كلمتهم على ذلك وانقاد كل واحد منهم لمن دعاه إلى الله ورسوله وتحاكموا
كلهم إلى السنة وآثار الصحابة لقل الاختلاف وإن لم يعدم من الأرض)
إعلام الموقعين ٣/٢٢٦. ولعل تشكل مدارس أهل الحديث المعروفة
أضعف من الأخذ بآثار الصحابة مثل الضعف من الأخذ بالسنة
والهوى هذا ما حذر منه الأئمة بقولهم خذوا من حيث أخذنا
ولا شك ما ثبت أن افتراق الأمة إلى بضع وسبعين فرقة سببه
الأعظم هو ترك هذا المنهج المعصوم كما أخبر بذلك المصطفى
[illegible] × وأعتقد أن الأمة لا يمكن أن تنهض
من كبوتها إلا بالعودة إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وصحابته رضي الله عنهم قال تعالى (لو أنفقت ما في الأرض جميعاً
ما ألفت بين قلوبهم) فكل جهد للإصلاح لا ينطلق من هذا
الأساس فهو جهد ضائع، وما قصدته في هذه الكتابة يتلخص
لذا كان من واجب أهل العلم العناية بآثار الصحابة رضي الله عنهم ودراستها
وتمييز ما ثبت عنهم من غيره لتحقيق الأمر الذي وقفنا لأجله
فيما لم نعلم أنهم اختلفوا فيه من أمر الكتاب والسنة رسوله صلى الله عليه وسلم
وأعتقد أن أهل السنة السائرين على طريق الصحابة لا يمكنهم أن يتميزوا
عن غيرهم إلا بهذا.

× وقد نبه ابن عمر رضي الله عنه الخوارج وهو مخالفتهم عن هديهم لهم في فهم القرآن
فقال (انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المسلمين) رواه البخاري

فإن منهم الذين هم السابقون من الصدر الأول يعني الصحابة وهذا
ما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله (اتخذ الناس رؤوساً
جهالاً فأفتوا برأيهم) وهذا القول إشارة إلى من يخالفون وهذا الرأي
المخالف للدين إلا بالتزام منهج السلف الصالح.

وقد وقفت على كتاب أخينا أبي عبد الله الداني في جمعه كل الآثار
وسلسلة الآثار الصحيحة فسرني ذلك جداً لما رأيت فيه
من جهد مشكور في دراسة الأسانيد ودراسة علمية رصينة
والتنبيه على ما فيها من علل وأحكام من خلال كلام أهل
العلم كما تتبع أسانيد آثار التابعين الذين أخذوا العلم عن أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأرضاهم أنهم أعلم الناس بالحق
بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه لقرب عهدهم بمشكاة النبوة
وأنه لكان للأئمة السلف من وجوب الاتباع ~~[illegible]~~
~~[illegible]~~ والرد على من أراد أن يكون الأئمة من النفع
والقول بما كان لسابقتها في الحديث الذي صلى الله عليه وسلم [illegible]
للعلامة المحقق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

وأشد على يد أخينا أبي عبد الله في مواصلة العمل فإنه سيقدم
مستقبلاً في ~~وقت~~ عليها فرقت ثم أشد الحاجة إلى هذا الكتاب
المبارك، كما سيأتي بخدمة عظيمة لأهل العلم الذين يعتنون
بتخريج أقوال أهل العلم المتلقين عن الصحابة

والحمد لله رب العالمين

وكتبه
أبو عبد الرحمن محمد بن صالح العيلاني
٣/١/١٤٢٤هـ

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

أما بعد؛ فعملاً بقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»؛ فإني أتقدم بالشكر للشيخ الفاضل العلامة أبي عبد الرحمن عبد الله بن صالح العُبيلان ـ حفظه الله تعالى ـ على ما قام به من مراجعة هذا الكتاب، والتقديم له، وعلى حُسن ظنه بأخيه وتشجيعه له، والحث على مواصلة هذا العمل.

كما وأشكره على إفاداته وإرشاداته، وتفرغه لقراءة الكتاب ومراجعته، وهذا من شيمة الشيخ ومكارم أخلاقه، ولين جانبه، وتواضعه، فقد أخجلني الشيخُ ـ حفظه الله ـ جداً واللّهِ ـ بتواضعه الجمّ، ولين جانبهِ.

فالله أسألُ أن يرفعَ من منزلة الشيخ عبد الله، في الدنيا والآخرة، وأن يجزيه خيراً، ويسدّد خطاه، ويدفع عنه كل سوء، ويحفظه بما يحفظ به عباده الصالحين.

قيّد ذلك اعترافاً بالشكر لأهله

أبو عبد الله الداني بن منير آل زهوي